

# النَّاسُ

## عناصر الموضوع

٢١٢	مفهوم الناس
٢١٣	الناس في الاستعمال القرآني
٢١٤	الألفاظ ذات الصلة
٢١٧	تسمية سورة من القرآن باسم الناس
٢١٩	الغاية من خلق الناس
٢٢٢	فضل الله تعالى على الناس
٢٢٨	أصناف الناس
٢٣٢	صفات الناس
٢٣٦	حال أكثر الناس
٢٤١	اتباع الناس
٢٤٤	نداءات الله تعالى للناس
٢٤٩	الناس والجن

## مفهوم الناس

## أولاً: المعنى اللغوي

الناس من نوس، النون والواو والسين أصل يدل على اضطرابٍ وتذبذب، وناس الشيء: تذبذب، ينوس، ويقولون: نُشتِّت الإبل: سُقْتُها<sup>(١)</sup>، النوس والتوسان: التذبذب، والناس يكون من الإنس ومن الجن، جمع إنسٍ، أصله أناسٌ جمع عزيزٌ أدخل عليه أل. وناس الإبل: ساقها، وأناسه: حَرَكَه، وَتَوَسَّ بالمكان تنويساً: أقام، والمنوس من التمر: ما أسود طرفه<sup>(٢)</sup>. وما سبق يتبيّن أن كلمة الناس يدور معناها على الاضطراب، والحركة والتذبذب والإقامة، والسوق.

## ثانياً: المعنى الاصطلاحي

قال الراغب: «والناس قد يُذَكَّرُ ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم الناس تجوزاً»، وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانية وهو وجود الفضل والذكر وسائر الأخلاق الحميدة والمعاني المختصة به<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو هلال العسكري: «هم الإنس خاصة وهم جماعة لا واحد لها من لفظها»<sup>(٤)</sup>.

وقال الطاهر بن عاشور: «الناس اسم جمع للبشر»<sup>(٥)</sup>.

قال الشيخ الشعراوي: «هم الجنس المنحدر من آدم إلى أن تقوم الساعة»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/٣٦٩، لسان العرب، ابن منظور ٦/٢٤٥.

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص ٧٤٧.

(٣) المفردات ١/٤٢٢، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ١/١٥٢٣.

(٤) الفروق اللغوية ص ٥٢٧.

(٥) التحرير والتوكير ١١/١٢٧.

(٦) تفسير الشعراوي ١/٣٨١٦.

## الناس في الاستعمال القرآني

وردت كلمة (ناس) في القرآن الكريم (٢٤١) مرة<sup>(١)</sup>.

والصيغة التي وردت، هي:

المثال	عدد المرات	الصيغة
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۖ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۖ ۝ إِنَّهُ النَّاسِ ۝﴾ [الناس: ٣-٤]	٢٤١	اسم جمع

وجاءت كلمة (الناس) في القرآن على وجهين<sup>(٢)</sup>:

الأول: جميع الناس: ومنه قوله تعالى: ﴿بِكُلِّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَرَّةٍ وَأَنْشَأْنَاهُمْ شَعْوَرًا  
وَقَاتَلُوا لِتَعَارِفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

الثاني: فئة معينة من الناس أو أحد الناس بعينه: ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَّذِينَ قَالَ اللَّهُمَّ أَنَّا نَسُّ  
إِنَّ الْأَنَاسَ قَدْ جَمَعُوكُمْ فَأَخْشُوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. أريده بالأولى: نعيم بن مسعود الأشعري،  
 وبالثانية: أبو سفيان وأصحابه من قريش وأهل مكة.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٧٢٦-٧٢٩، المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم، باب النون ص ١٣٥٥-١٣٦٠.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ٤٤١-٤٤٣، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ١٤٠-١٣٩ /٥.  
نزهة الأعيان النوازير، ص ٦٠٥-٦٠١، عمدة الحفاظ، السمين الحلبي، ٢٣٣-٢٣٢ /٤.

## الألفاظ ذات الصلة

### ١ العالمين

#### العالمين لغة

(علم) العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، ومن الباب العاملون، وذلك أن كل جنسٍ من الخلق فهو في نفسه معلم وعلم، وقال قوم: العالم سمي لاجتماعه، قال الله تعالى: ﴿الْعَكْنَدُ لِوَرَتِ الْكَلَمِ﴾ [الفاتحة: ٢]. قالوا: الخلاق أجمعون<sup>(١)</sup>.

#### العالمين اصطلاحاً

أصناف الخلق من الملائكة والجن والإنس دون غيرها، وقيل: عني به الناس وجعل كل واحد منهم عالماً<sup>(٢)</sup>، وقال ابن كثير: و(العالمين) جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله عز وجل<sup>(٣)</sup>.

#### الصلة بين الناس والعالمين

بعد التأمل في التعريف السابقة تبين أن لفظة العالمين تشمل الناس وغيرهم، باعتبار الناس جزءاً من هذا العالم، والناس من الموجودات والمخلوقات التي أوجدها الله تعالى وكلفها بالعبادة والطاعة، لكن لفظة العالمين أعم، والناس أخص.

### ٢ البشر

#### البشر لغة

(بشر) الباء والشين والراء أصلٌ واحد يقصد به ظهور الشيء مع حسنه وجماله، فالبشرية ظاهر جلد الإنسان، والبشر: الإنسان.

#### البشر اصطلاحاً

والبشر هم الخلق يقع على الأنثى والذكر والواحد والاثنين والجمع<sup>(٤)</sup>. وإطلاق البشر على الإنسان اعتباراً بظهور جلده من الشعر، بخلاف الحيوان الذي عليه

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٤/١٠٩.

(٢) انظر: المفردات، الأصفهاني ص ٣٤٥.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/١٣١.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٤/٥٩.

نحو صوف أو شعر<sup>(١)</sup>.

## الصلة بين الناس والبشر:

سمى الناس بشرًا؛ لأنهم أحسن الحيوان هيئة، ويجوز أن يقال: إن قولنا بشر يقتضي الظهور، وسموا بشرًا لظهور شأنهم، وقولنا: الناس يقتضي النوس وهو الحركة، والناس جمع البشر واحد<sup>(٢)</sup>.

## ٣ بنو آدم

### بنو آدم لغةً

هذا مصطلح مركب من لفظة (بنو)، ولفظة (آدم) نعرف كلاً منهما بما يأتي:  
بنو لغةً

قالوا: إنه جمع بنوة أو بنوة، والابن الولد، والجمع أبناء<sup>(٣)</sup>.  
آدم لغةً

آدم: الأدم: الانفاق، وأدم الله بينهما يأدم أدما، وأدم بينهما إيداماً، فهو مؤدم بينهما،  
ويقال: بينهما أدماءً وملحة، أي: خلطة.  
وأديم كل شيء: ظاهر جلده، وأدمة الأرض: وجهها، وقيل: سمي آدم عليه السلام؛ لأنه  
خلق من أدمة الأرض، وقيل: بل من أدمة جعلت فيه<sup>(٤)</sup>.

### بنو آدم اصطلاحاً

هم الناس<sup>(٥)</sup>، وينو أبي البشر<sup>(٦)</sup>.

### الصلة بين الناس وبين آدم

مما سبق تبين أن هناك صلة بين الناس وبين بني آدم، وهي علاقة توضيح المعنى، فبني آدم هم الناس والبشر، والناس ينسبون إلى أبيهم آدم عليه السلام، ولهذا يقال: الناس بنو آدم لأنهم منسوبيون إليه<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: التوقيف على مهمات التعريف، المناوي ص ١٣٢.

(٢) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ١٠١.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٨٩/١٤.

(٤) انظر: العين، الفراهيدي ٨/٨٨.

(٥) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ١٣.

(٦) انظر: المفردات، الأصفهاني ص ١٤.

(٧) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ١٣.

## ٤ الثقلان

## الثقلان لغةً

(نقل) الثناء والكاف واللام أصلٌ واحدٌ يتفرع منه كلمات متقاربة، وهو ضد الخفة، ولذلك سمي الجن والإنس بالثقلين، لكثره العدد، وأنقال الأرض كنوزها.

قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجْتَ الْأَرْضَ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]. ويقال هي أجساد بني آدم<sup>(١)</sup>.

## الثقلان اصطلاحاً:

هم «الإنس والجن»<sup>(٢)</sup>.

## الصلة بين الناس والثقلين

الثقلان أعم من الناس، والناس أخص، فالثقلان يعني الإنس والجن، والإنس يعني بني آدم دون الجن.

## ٥ الأنعام:

## الأنام لغةً

والأنام هم ما على ظهر الأرض من جميع الخلق، ويجوز في الشعر: الأنيم<sup>(٣)</sup>.

## الأنام اصطلاحاً

هم الجن والإنس<sup>(٤)</sup>.

## الصلة بين الناس والأنام

هناك علاقة واضحة بين اللفظتين فالأنام تفسير وبيان لمعنى لفظة الناس، فالأنام يقتضي تعظيم شأن المسمى من الناس<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١ / ٣٨٢.

(٢) جامع البيان، الطبراني ٢٢ / ٢٣.

(٣) انظر: العين، الفراهيدي ٨ / ٣٨٨.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٢ / ٣٧.

(٥) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ٧٥.

## تسمية سورة من القرآن باسم الناس

سورة الناس سورة مكية<sup>(١)</sup>، عدد آياتها ست آيات.

وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه من طريق عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم: (كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ق ﴿قَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قَلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قَلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسله يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسله، يفعل ذلك ثلاث مرات)<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنزل أو أنزلت علي آيات لم ير مثلهن قط المعوذتين)<sup>(٣)</sup>.

### حكمة تسمية السورة بهذا الاسم

إن تسمية سورة من سور القرآن باسم سورة الناس، واستقلالها بهذا الاسم لم يأت اعتباطاً بل جاء لحكمة نسأل الله تعالى أن

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي .١٨/١

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، ٦/١٩٠، رقم ٥٠١٧

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين، رقم ٨١٤

يلهمنا الصواب باستخراج هذه الحكم نقول: وبالله التوفيق:

**أولاً:** «إنه تعالى رب جميع المحدثات، ولكنه هنا ذكر أنه رب الناس على التخصيص وذلك لوجوه:

● **أن الاستعاذه وقعت من شر الموسوس في صدور الناس،** فكأنه قيل: أعود من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمرورهم، وهو إلهمهم ومعبودهم، كما يستغيث بعض الموالي إذا اعترافهم خطب بسيدهم ووالى أمرهم.

● **أن أشرف المخلوقات في العالم هم الناس.**

● **أن المأمور بالاستعاذه هو الإنسان، فإذا قرأ الإنسان هذه صار كأنه يقول: يا رب يا ملكي يا إلهي<sup>(٤)</sup>.**

**ثانياً:** بيان أن الخلق كلهم داخلون تحت الربوبية والملك، وأن الوسواس كما يكون من العجن يكون من الإنس، ولهذا قال: **﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾** [الناس: ٦]<sup>(٥)</sup>.

**ثالثاً:** بيان المعاني المختلفة لكلمة الناس خاصة في سورة الناس، وفي ذلك رد على المستشرقين الذين قالوا: إن في القرآن الكريم تكرار خاصة أنه كرر لفظة الناس

(٤) مفاتيح الغيب، الرازى / ٤٩٠

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٩٣٧

والناس في الآية الثانية هم المَمْلُوكُونَ لِللهِ  
فلا أحد يخرج عن قدرة الله في الأمور  
القهريّة، وتأتي **﴿النَّاس﴾** في الآية الثالثة:  
**﴿إِنَّهُوَ النَّاس﴾** [الناس: ٣].

لتؤكد أن الحق هو الإله المعبد بحق،  
وهو الذي يقيك مما ستأتي به الآية الرابعة:  
**﴿مِنْ شَرِّ الْوَسَوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾** [الناس: ٤].  
والآية الخامسة: **﴿أَلَّذِي يُوَسْوِشُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾** [الناس: ٥]<sup>(١)</sup>.

أكثر من مرة في سورة الناس.  
يقول الشعراوي: وقد وقف بعض  
المستشرقين عند كلمة **﴿النَّاس﴾**،  
وأرادوا أن يدخلونا من خلالها إلى متأملات  
التشكيك في القرآن، وقالوا: إن القرآن فيه  
تكرار لا لزوم له.

وأهم سورة أخذها هؤلاء المستشرقون  
هي سورة (الناس) حيث يقول الحق:  
**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۖ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِنَّهُوَ النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسَوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ أَلَّذِي يُوَسْوِشُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝﴾**  
[الناس: ٦-١].

وهذا الجمع من المستشرقين فهموا  
أن المعنى لكلمة (الناس) في كل آية من  
آيات هذه السورة هو معنى واحد، ولكنهم  
لم يتمتعوا بملكة اللغة؛ ولم يلتقطوا إلى  
أن معنى كلمة (الناس) في كل موقع هو  
معنى مختلف وضروري؛ لأن الحق سبحانه  
أراد بكل كلمة في القرآن أن تكون جاذبة  
لمعناها، وأن يكون كل معنى جاذباً لكلمة  
المناسبة له.

وهكذا نجد الفرق بين أن يقول سبحانه:  
**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾** [الناس: ١].  
وأن يقول: **﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾** [الناس:  
٢].

و (الناس) في الآية الأولى هم المَرْبُونَ،

(١) انظر: تفسير الشعراوي، ٣٨١٦ / ٥.

والاستخلاف في الأرض له ثمرات عديدة، منها: تنفيذ أحكام الله تعالى في الأرض، وهذا ما وضّحه قوله تعالى: ﴿يَدْأُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ يَعْلَمُ وَلَا تَنْتَعِي الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

قال الرازبي: جعلناك تختلف من تقدمك من الأنبياء في الدعاء إلى الله تعالى، وفي سياسة الناس؛ لأن خليفة الرجل من يخلفه، وذلك إنما يعقل في حق من يصح عليه الغيبة، وذلك على الله محال.

والقول الثاني: إننا جعلناك مالكًا للناس وننفذ الحكم فيهم، وبهذا التأويل يسمى خليفة، ومنه يقال: خلفاء الله في أرضه، وحاصله أن خليفة الرجل يكون نافذ الحكم في رعيته، وحقيقة الخلافة ممتنعة في حق الله، فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة مفيدة للزوم في تلك الحقيقة وهو نفاذ الحكم<sup>(٢)</sup>.

وبعد التأمل ودراسة الآيتين السابقتين يتبيّن أن هناك غایات عديدة من خلق الناس، وأهمها الاستخلاف على هذه الأرض، وغاية الاستخلاف هو تنفيذ حكم الله، وإقامة شرعيه على الأرض والحكم بين الناس بالعدل، ومن خلال استقراء لفظة الناس في القرآن تبيّن أن لفظة الناس

## الغاية من خلق الناس

إن الله تعالى خالق الخلق، مدبر الأمر، ذي الطول الشديد، بيده مقاييس السماوات والأرض ﴿لَا يَسْعُ عَنَّا يَقْعُلُ وَهُمْ يَسْتَلُونَ﴾، خلق الناس لِيُحْكِمَ عديدة، أهمها:

### أولاً: الاستخلاف في الأرض

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلِئَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَالْوَالِيَّ أَنْجَحْتُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيُشْفِكُ الْإِيمَانَ وَنَحْنُ نُسْتَخِبُ إِحْمَادَكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿يَدْأُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ يَعْلَمُ وَلَا تَنْتَعِي الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ الَّذِينَ يَصْلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَوَّيْمُ الْحَسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

قال الإمام الطبراني في تفسير الآية الأولى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلِئَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: والصواب في تأويل قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: أي مُسْتَخْلِفٌ في الأرض خليفة، ومُصِيرٌ فيها خلفاً، أي: خلفاً يَخْلُفُ بعضهم بعضاً، وهم ولد آدم الذين يخالفون أباهم آدم، ويختلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله<sup>(١)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب / ١ . ٣٨٦

(٢) انظر: جامع البيان / ١ . ٤٥١

المسيوقة بـ(بين) وردت في سياق الحكم والإصلاح.

**رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُونَ** ﴿البقرة: ٢١﴾.

وأختلف من المراد بالناس هنا على قولين: أحدهما: الكفار الذين لم يعبدوه والقول الثاني: أنه عامٌ في جميع الناس، فيكون خطابه للمؤمنين باستدامة العبادة، وللكافرين بابتدائهما .<sup>(٢)</sup>

### ثالثاً: التعارف

يقول تعالى: **﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُونا وَقَبَائِلَ تَعَارفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَسِيرٌ﴾** [الحجرات: ١٣].

يخبر تعالى أنه خلقبني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بث منها رجلاً كثيراً ونساء، وفرقهم وجعلهم شعوباً وقبائل أي: قبائل صغاراً وكباراً، وذلك لأجل أن يتعارفوا؛ فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه لم يحصل بذلك التعارف الذي يترب عليه التناصر والتعاون والتوارث والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل؛ لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ومعرفة الأنساب، ولكن الكرم بالتفوي؟؛ فأكرمهم عند الله

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي .٢٢٥ / ١

ثانياً: عبادة الله تعالى يقول تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ لِجِنَّةً وَلِإِنْسَانًا إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات: ٥٦].

ومعنى العبادة هي إظهار الخضوع للعبود واعتقاد أنه يملك نفع العابد وضره ملكاً ذاتياً مستمراً، فال侖بود إله للعباد، فالحصر المستفاد من قوله: **﴿وَمَا خَلَقْتُ لِجِنَّةً وَلِإِنْسَانًا إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** قصر الله علة خلق الإنسان والجن على إرادته أن يعبدوه، أي إلا ليعبدوني وحدي، أي لا ليشركوا غيري في العبادة، فهو رد للإشراك، وليس هو قصراً حقيقياً.

وما ذكر الله الجن هنا إلا لتنبيه المشركين بأن الجنَّ غير خارجين عن العبودية لله تعالى، وتقدير الجن في الذكر في قوله: **﴿وَمَا خَلَقْتُ لِجِنَّةً وَلِإِنْسَانًا إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** للاهتمام بهذا الخبر الغريب عند المشركين الذين كانوا يعبدون الجن، ليعلموا أن الجن عباد الله تعالى .<sup>(١)</sup>

وبعد بيان وتوضيح هذه الغاية المهمة، وهي عبادة الله تعالى يأتي النداء الرياني في كثير من الآيات القرآنية مؤكداً على هذه الغاية في قوله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا**

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧ / ٢٦.

**حَكَمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَيِّئَاتِهِ  
بَعِيرًا** [النساء: ٥٨].

### ٣. إقام الصلاة.

يقول تعالى: **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَمَا أُتُوا  
الرِّزْكُوْنَ وَمَا لَفِيتُمَا لَا تَشْكُرُونَ حَتَّىٰ تَجِدُوهُ  
عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** [البقرة: ١١٠].

### ٤. الصيام.

يقول تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا كُتُبَ  
عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتُبَ عَلَى الَّذِينَ مِن  
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ** [البقرة: ١٨٣].

أتقاهم... وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة؛ لأن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل ذلك.

### رابعاً: أداء الفرائض وحمل الأمانة:

يقول تعالى: **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَىٰ  
الْمَوْتَىٰ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَّ أَنْ يَحْمِلُنَا  
وَأَشْفَقَنَّ مِنْهَا وَحَمَلُهَا إِلَيْهِ كَانَ ظَلُومًا  
جَهُولًا** [الأحزاب: ٧٢].

وقال ابن كثير: عن ابن عباس: الأمانة: الفرائض عرضها الله على السموات والأرض والجبال، إن أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم، فكرهوا ذلك وأشفقوها من غير معصية، ولكن تعظيمًا لدين الله لا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها <sup>(١)</sup>.

ومن أهم هذه الفرائض على سبيل المثال لا الحصر:

#### ١. حج بيت الله.

يقول تعالى: **فِيهِ مَا يَكُنُّ يُتَكَبَّرُ مَقَامٌ  
لِإِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ مَاءِمًا وَلَلَّهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ  
الْبَيْتِ مِنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ  
غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** [آل عمران: ٩٧].

#### ٢. أداء الأمانة و الحكم بالعدل والحق.

يقول تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا  
الْأَمَانَةَ إِلَهَ أَهْلُهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ**

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٨٨ / ٦.

## فضل الله تعالى على الناس

إن نعم الله على الناس لا تعد ولا تحصى، فإنه تعالى أسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، وأرسل للناس خير رسle، وشرع لهم أفضل شرائعه، خلق آدم بيديه وأسجد له الملائكة، ما أعظمها من تكريم! وفضل الله على الناس كثير.

وستنقف على بعض وجوه هذا الفضل فيما يأتي.

### أولاً: التكريم الإلهي

وقد ظهر ذلك في عدة صور، منها:

١. خلق آدم بيديه ونفخ الروح فيه.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّتْهُ وَنَفَخْتْ فِيهِ مِنْ رُوحِنَقْعَالَهُ سَجِدَيْنَ﴾ [الحجر: ٢٩].

٢. سجود الملائكة لآدم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَنَّا لِلْمَلَائِكَةَ أَسْجَدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِنِّي سَأَنْهَا وَأَسْتَكْبَرُ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وآدم عليه السلام هو أبو البشر، وتكريم آدم بالسجدة له تكريم لذرته.

٣. القول الصريح بتكريمبني آدم والفضل على الناس.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَنَّبْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ أَطَيْبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقَنَا تَقْضِيَلَا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٣].

«كرمه تعالى بأن خلق أباهم آدم على صورة الرحمن، وجعل لهم ذلك بحكم الوراثة، وأن الولد سر أبيه، وفضلهم على الكثير، بأن جعل لهم من النعم ما يستغرق العدد<sup>(١)</sup>، والمقصود من ذلك بيان هذا التكريم لصورة آدم وجماله والحفظ عليه، وعدم الاعتداء عليه.

### ٤. الخيرية ووصف الناس بها.

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ النَّاسَ تَأْمُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُوهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ مَا أَنْهَى أَهْلُ الْكِتَابَ لَكَانُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الظَّاهِرُونَ﴾ [آل عمران: ١١].

والمعنى أنكم كتم في اللوح المحفوظ خير الأمم وأفضليهم، فاللاقى بهذا أن لا تبطلوا على أنفسكم هذه الفضيلة، وأن لا تزيلوا عن أنفسكم هذه الخصلة المحمودة، وأن تكونوا منقادين مطيعين في كل ما يتوجه عليكم من التكاليف<sup>(٢)</sup>.

### ٥. اصطفاء الله الرسل من الناس.

قال تعالى: ﴿الَّهُ يَصْطَطِفُ مِنْ

(١) روح المعاني، الألوسي، ١٥ / ١٢٧.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ١ / ٢٢٤.

## ٢. نعمة الأكل.

يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَّكَ طَيْبًا وَلَا تَنْهَا عَنْ حَطَوْتِ السَّكِينَةِ إِنَّهُ لَكُمْ عَذْوَمُينَ﴾ [البقرة: ١٦٨].

يقول ابن كثير: يبين أنه الرزاق لجميع خلقه، فذكر ذلك في مقام الامتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالاً من الله طيباً، أي: مستطاباً في نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقل، ونهى عن اتباع خطوات الشيطان، وهي طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوصائل ونحوها مما زينه لهم في جاهليتهم <sup>(٤)</sup>.

## ٣. نعمة التسخير.

لقد خلق الله الإنسان وجعله خليفة على الأرض ليقوم على تنفيذ أحكام الله تعالى، وإنه سيعمر هذه الأرض بالتكاثر، واستغلال مواردها، وكان من نعم الله الكبرى عليه تسخير الكون للناس جميماً لقضاء وأداء هذه المهمة العظيمة، وهي الاستخلاف على الأرض.

ومن أهم الأشياء التي تم تسخيرها للناس:

### ● تسخير الشمس والقمر.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْيَلَّ وَالنَّهَارَ﴾

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / ٤٧٨ / ١.

## الْمَلِئَكَةُ رُسُلًا وَمَنْ أَنْذَى إِنْتَهَى

سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

تبين الآيات في ختام السورة بأن الله أصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم لتبلغ الرسالة؛ أي: ليس بعنه محمدًا أمراً بدعياً <sup>(١)</sup>.

## ثانيًا: الإنعام والتسخير

إن العلاقة القائمة بين الإنسان والكون علاقة قائمة على المصاحبة، وهذه العلاقة قائمة على أساس تسخير الله تعالى هذا الكون للإنسان، واستغلاله خير استغلال، والاستفادة منه وإعانته على نشر دعوة الله تعالى، وقد أسبغ الله على الناس نعمة ظاهرة، وباطنة، ونعمه كثيرة لا تعد ولا تحصى، ولعل هذا المطلب يبين بعضًا من نعم الله تعالى على الناس.

## ١. نعمة الخلق والرزق.

يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلَقٍ غَيْرَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾

[فاطر: ٣].

ومعنى هذا الذكر الشكر <sup>(٢)</sup>، والخطاب عامٌ للجميع؛ لأن جميعهم معمورون في نعمة الله <sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي .٩٨ / ١٢

(٢) انظر: المصدر السابق .٣٢٢ / ١٤

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري .٦٠٦ / ٣

والزروع، وإنضاج الثمرات وتلوينها، وغير ذلك من التأثيرات المترتبة عليهم بإذن الله تعالى<sup>(١)</sup>.

✿ تسخير البحر لسير الفلك.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا الْبَحْرَ لِتَعْرِي  
الْفَلَكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَنْجُو مِنْ قَصْلِهِ وَلَئِكْرَتْ شَكْرُونَ﴾  
[الجاثية: ١٢].

يقول القرطبي: «يعني أن ذلك فعله وخلقه وإحسان منه وإنعام»<sup>(٢)</sup>.

✿ تسخير البحر لناكل منه لحمًا طريًا.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ  
لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَسَتَخْرُجُوا مِنْهُ  
حِلَيَّةً تَلْبَسُوهَا وَتَرْكَى الْفَلَكَ مَوَارِخَ  
فِيهِ وَلَتَبَقُّوا مِنْ فَصْلِهِ وَلَمَّا  
شَكْرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

ومعنى قوله تعالى ذكره: والذي فعل هذه الأفعال بكم، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم، الذي سخر لكم البحر، وهو كل نهر ملحًا ماؤه أو عذباً<sup>(٣)</sup> ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا﴾ وهو السمك الذي يصطاد منه، <sup>(٤)</sup> **﴿وَسَتَخْرُجُوا مِنْهُ حِلَيَّةً تَلْبَسُوهَا﴾** وهو اللؤلؤ والمرجان<sup>(٥)</sup>.

✿ تسخير الأنهر.

قال تعالى: ﴿الَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا  
فَأَخْرَجَ﴾

(١) روح المعاني، الألوسي ١٤/١٠٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٦٠.

(٣) جامع البيان، الطبراني ١٧/١٨٠.

[ابراهيم: ٣٣].

واعلم أن الانتفاع بالشمس والقمر عظيم، وقد ذكره الله تعالى في آيات منها قوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ  
سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦].

ومنها قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾  
[الرحمن: ٥].

وقوله: ﴿دَآيَبَيْنِ﴾ معنى الدو布 في اللغة مرور الشيء في العمل على عادة مطردة، يقال: دأب يدأب دأبًا ودؤبًا، وقال المفسرون: قوله: ﴿دَآيَبَيْنِ﴾ معناه يدأبان في سيرهما وإنارتهم وتأثيرهما في إزالة الظلمة وفي إصلاح النبات والحيوان، فإن الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل، ولو لا الشمس لما حصلت الفصول الأربع، ولو لا القمر لما اختلت مصالح العالم بالكليّة<sup>(٦)</sup>.

✿ تسخير الليل والنهار.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ أَيْلَمَ  
وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ  
بِأَمْرِهِ إِنَّكُمْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لَّفَوْرٌ يَعْقُلُونَ﴾  
[النحل: ١٢].

يتعاقبان خلفة لمنامكم واستراحتكم وسعيكم في مصالحكم من الإساممة، وتعهد حال الزرع ونحو ذلك، والشمس والقمر يدأبان في سيرهما وإنارتهم أصلحة وخلافة، وأدائهما ما نيط بهما من تربية الأشجار

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، الرازبي ١٢/٢٦٤.

### ثالثاً: الإرشاد والتبيين

إن الله تعالى قد أخذ العهد من الخلق  
وهم في عالم الذر أن يعبدوا الله ولا يشركوا  
به شيئاً.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا حَذَرَ رَبَّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ  
مِنْ ظُهُورِهِ ذُرْنَاهُمْ وَأَشَدَّهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَسْتَ  
رِيْتُكُمْ قَالُوا بَلْ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا  
كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

تجلت رحمة الله وعظمته، وفضله على  
الناس بتذكيرهم، بعدهم الأول مع الله،  
بالإرشاد، وتبيينهم لهذا العهد من خلال  
إرسال الرسل.

فضل الله على الناس بالإرشاد

#### ١. الإرشاد بإرسال الرسل.

ويقول تعالى: ﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسْنَاتِ فِيْنَ  
اللَّهُ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيْئَاتِ فِيْنَ نَفَسِكُ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ  
رَسُولًا وَكُنْتَ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].

يبين الله تعالى في الآية السابقة أنه أرسل  
الرسول للناس، وذلك لأن مهامة الرسل  
إرشاد الناس إلى الصراط المستقيم، ويعني  
بقوله جل ثناؤه: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾،  
إنما جعلناك يا محمد رسولًا بيننا وبين  
الخلق، تبلغهم ما أرسلناك به من رسالة،  
وليس عليك غير البلاغ وأداء الرسالة إلى من  
أرسلت، فإن قيلوا ما أرسلت به فلا نفسمهم،  
وإن ردوا فعليهما، وهو مجازيك ببلاغك

يده، منَ الْمَرْأَتِ رَزَقَ لَكُمْ وَسَخَرَ لَكُمْ  
الْفُلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ يَأْمُرُهُ وَسَخَرَ لَكُمْ  
الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

وسخر لكم الأنها، أي: ذللها،  
تعج리 حيث تريدون، وتركبون فيها حيث  
تشاؤون<sup>(١)</sup>.

#### ✿ تسخير ما في الأرض.

قال تعالى: ﴿الَّذِيْرَأَنَ اللَّهُ سَخَرَ لَكُمْ مَا فِي  
الْأَرْضِ وَالْفُلَكَ تَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ يَأْمُرُهُ وَيُمْسِكُ  
السَّكَّاءَ أَنْ تَقْعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا يَأْذِنَهُ إِنَّ اللَّهَ  
بِالنَّاسِ لَّوْفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

#### ✿ تسخير ما في السموات وما في الأرض.

قال تعالى: ﴿الَّذِيْرَأَنَ اللَّهُ سَخَرَ لَكُمْ مَا  
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً  
ظَلِيمَةً وَكَاطِنَةً وَيَنْ أَنَّ النَّاسَ مَنْ يَعْدِلُ فِي اللَّهِ  
يُغَيِّرُ عِلْمَهُ وَلَا هُدَىٰ وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان:  
٢٠].

يقول القرطبي: «ذكر نعمه على بني آدم،  
 وأنه سخر لهم ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من شمس  
وقمر ونجوم وملائكة تحوطهم وتجر إليهم  
منافعهم. ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ عام في الجبال  
والأشجار والثمار وما لا يحصى. ﴿وَأَسْبَغَ  
عَلَيْكُمْ نِعْمَةً﴾ أي: أكملاها وأتمها<sup>(٢)</sup>.  
ما سبق يتبيّن أن نعمة التسخير هي من  
أعظم النعم التي أنعم الله بها على الناس.

(١) زاد المسير، ابن الجوزي ٤ / ٣٦٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ٧٢.

جاءهم به من عند الله هو الحق الذي لا  
مرية فيه ولا شك، فمن اهتدى به واتبعه  
فإنما يعود نفع ذلك الاتباع على نفسه، ومن  
ضل عنده، فإنما يرجع ويال ذلك عليه <sup>(٢)</sup>.

٤. الإرشاد بالموعظة الحسنة.

يقول تعالى: ﴿بَيْأَنًا إِنَّا نَأْمَشُ قَدْ جَاءَكُمْ  
مَوْعِظَةً تِنْ رَتَّكُمْ وَشَفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَذِئِي  
وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

في هذه الآية يذكر القرطبي رحمة الله أن الموعظة هنا بمعنى الوعظ وهذه الموعظات والمحكم جاءت من القرآن الكريم (٤).

فضلا الله على الناس بالتسهيل

إِن رَحْمَةَ اللَّهِ بِعِبَادِهِ تُظَهِّرُ يَارَسَالِ الرَّسُولِ،  
وَإِنَّ الْكِتَبَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ طَرِيقَ الْهُدَى،  
وَإِنَّ التَّبَيِّنَ جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى لِغَرَسِ  
الْتَّقْوَىٰ، وَتَذَكِيرِ النَّاسِ بِوَاجِبَاتِهِمْ وَعَهْوَدِهِمْ  
مَعَ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ مَا يَرِيدُ  
لِلنَّاسِ لَمَّا هُمْ يَتَّقَوْنَ﴾ [الْقَرْآن: ١٨٧].

وطرق التبيين في كتاب الله عديدة منها:  
التبيين: بيان آل الكتب.

## ١. التبيين بإنزال الكتب.

**يقول تعالى:** ﴿بِالْيَقِينِ وَالثُّبُرِ وَأَنْزَلَنَا إِلَيْكَ الْأَكْثَرَ لِتُعَذِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَكْرِهُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

**يقول الشعراوى: ومن هنا سميـنا الكتب**

<sup>(٣)</sup> انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / ٤ / ٣٠٠.

۴

<sup>(٤)</sup> انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي

.۳۵۲ / آ

ما وعدك، ومجازيهم ما عملوا من خير  
وشر، جزاء المحسن بإحسانه، والمسيء  
بإساءته <sup>(١)</sup>، قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَنَأِيهَا  
النَّاسُ إِذْ أَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا  
الَّذِي لَمْ يَمْلِكُوهُنَّ مُؤْمِنُونَ  
وَالْأَرْضُ لِأَللَّهِ مَا لَأَهُو  
يَحْيِي، وَيُمْتَدِّ فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
الَّذِي يُوَعِّدُ بِهِ<sup>(٢)</sup> الْأَرْضَ  
الَّذِي يُوَعِّدُ<sup>(٣)</sup> بِاللَّهِ وَكَلَمَتِهِ، وَأَئِمْمَةُ  
عَلَيْكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٤. الإرشاد يأنزل الكتب والحكم بما فيها.

يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ  
بِالْحَقِّ لِتَعْلَمُ بَيْنَ النَّاسِ مِمَّا أَرْبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُونُ  
لِلْخَابِرِينَ حَصِيقًا﴾ [النساء: ١٠٥].

يقول الطبرى: يعني جل ثناؤه بقوله:  
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ إِمَّا أَرْتَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ﴾ إنما أنزلنا إليك يا محمد  
﴿الْكِتَبَ﴾، يعني: القرآن ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾، لتقضى بين الناس فتفصل بينهم  
﴿بِمَا أَرْتَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ﴾ (٢).

٣. الإرشاد ببيان الحق.

**يقول تعالى:** ﴿قُلْ يَأْتِيهَا الْنَّاسُ قَدْ جَاءُوكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَمَ فَإِنَّمَا يَهْتَمُ بِذِي الْأَنْفُسِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨].

يقول تعالى أمراً لرسوله، صلوات الله  
وسلامه عليه، أن يخبر الناس أن الذي

<sup>١١</sup>) انظر: جامع البيان، الطبرى ٨/٥٦١.

١٧٥ / ٩ جامع البيان

بلاغ للناس، أبلغ الله به إليهم في الحجة عليهم، وأعذر إليهم بما أنزل فيه من مواته وعبره **(ولِيُشَدِّرُوا بِهِ)** يقول: ولِيُشَدِّرُوا عقاب الله، ويحدروها به نقماته، أنزله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup>.

وهذا القرآن بلاغ للناس، أي: هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجان <sup>(٣)</sup>.

### ٣. التبيين بضرب الأمثلة.

يقول تعالى: **(يَتَأَلَّمُ أَنَّا شَرِبَ مَثْلُ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَكَارًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُمُ الظُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقْدُو مِنْهُ مَسْعَفَ الظَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ)** [الحج: ٧٣].

وضرب المثل أسلوب من أساليب القرآن للبيان والتوضيح وتقريب المسائل إلى الأفهام، ففي موضع آخر يقول سبحانه: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بُعْوَصَةً فَمَا قَوَّهَا)** [البقرة: ٢٦].

وقال سبحانه: **(يَتَأَلَّمُ أَنَّا شَرِبَ مَثْلُ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ)** [الحج: ٧٣].

فهذا كثير في كتاب الله، والمثل يضرب ليُجلِّي حقيقة، والضرب هنا لا يعني إحداث أثر ضار بالمضروب، إنما إحداث أثر نافع إيجابي <sup>(٤)</sup>.

### وتبين الآية السابقة هذا المثل الذي

(٢) جامع البيان، الطبراني ٥٧/١٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٥٢٣.

(٤) انظر: تفسير الشعراوي ١٢/٧١٣٧.

المنزلة ذكرًا، لكن الذكر يأتي تدريجيًا وعلى مراحل، كل رسول يأتي ليذكر قومه على حسب ما لديهم من غفلة، وإذا أطلقت كلمة الذكر انصرفت إلى ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ الكتاب الجامع لكل ما نزل على الرسل السابقين، ولكل ما تحتاج إليه البشرية إلى أن تقوم الساعة.

كما أنَّ كلمة كتاب تطلق على أي كتاب، لكنها إذا جاءت بالتعريف (الكتاب) انصرفت إلى القرآن الكريم، وهذا ما نسميه (علم بالغلبة) فجاء القرآن بالأصول الثابتة، وترك للرسول صلى الله عليه وسلم مهمة أن يبيّنه للناس، ويشرحه ويوضح ما فيه <sup>(١)</sup>.

### ٤. التبيين بالإنذار والبلاغ.

يقول تعالى: **(وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْمَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا إِنَّا إِلَيْكَ أَجْلِي فَرِيبٌ لَّمْ يُحِبِّ دُعَوَتَكَ وَتَنَعَّجَ الرَّشِيلُ أَوْلَمْ تَكُوْنُوا أَقْسَمُمْ قَنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ)** [إبراهيم: ٤٤].

ويقول تعالى: **(هَذَا يَكُنُّ لِلنَّاسِ وَلِيُشَدِّرُوا بِهِ وَلَيَعْلَمُوا أَنَّا هُوَ إِلَهٌ وَحْدَهُ وَلَيَذَكَّرُ أُولَئِكُمُ الْأَلَيْبَسُ)** [إبراهيم: ٥٢].

تبين لنا الآيات السابقة أن الإنذار والبلاغ من الأشياء المبينة لمنهج الله ودعوته، فقوله تعالى: **(هَذَا يَكُنُّ لِلنَّاسِ وَلِيُشَدِّرُوا بِهِ)**.

يقول الطبرى رحمه الله: هذا القرآن

(١) انظر: تفسير الشعراوى ٩/٤٩١٤-٤٩١٢.

## أصناف الناس

إن الله خالق الخلق، فكان منهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَّلُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨].

والناس أصناف ثلاثة، منهم: المؤمنون وهم أحباء الله تعالى، ومنهم الكافرون، ومنهم المنافقون.

**أولاً: المؤمنون:**

وردت لفظة الناس في كتاب الله تعالى مرات عديدة، ولها وجوه ومعاني مختلفة، فقد جاءت بمعنى المؤمنين على النحو الآتي:

### ١. المؤمنون من الصحابة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَمْنَوْا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَتَقْرَئُنَا كَمَا آمَنَ السَّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

يعني: وإذا قيل لهؤلاء الذين وصفهم الله ونعتهم بأنهم يقولون: ﴿أَمَّا بِاللَّهِ وَبِإِيمَانِهِ الْأَخْرَى وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

صدقوا بمحمد وبما جاء به من عند الله، كما صدق به الناس. ويعني بالناس المؤمنين الذين آمنوا بمحمد ونبيته وما جاء به من عند الله<sup>(٢)</sup>.

### ٢. المؤمنون في أول الخلق.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبرى / ١ . ٢٩٢

ضربه الله لقبع عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من عبدها، وضعف الجميع، فقال: ﴿يَنَّا إِلَيْهَا أَنَّا شَاءَ﴾ هذا خطاب للمؤمنين والكافر: المؤمنون يزدادون علمًا وبصيرة، والكافرون تقوم عليهم الحجة.

﴿شَرِيكٌ مَثُلٌ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أي: ألقوا إليه أسماعكم، وتفهموا ما احتوى عليه، ولا يصادف منكم قلوبًا لاهية، وأسماعًا معرضة، بل ألقوا إليه القلوب والأسماع.

وهو هذا: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا إِنَّمَا تَنْعُوذُ مِنْ دُونَ اللَّهِ﴾ شمل كل ما يدعى من دون الله، ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذَكَارًا﴾ الذي هو من أحقر المخلوقات وأحسها، فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف، فما فوقه من باب أولى.

﴿وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ﴾ بل أبلغ من ذلك ﴿وَلَنْ يَسْتَهِمُ الذِّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقْدِدُهُ مِنْهُ﴾ وهذا غاية ما يصير من العجز ﴿ضَعُفَكَ الظَّالِبُ﴾ الذي هو المعبد دون الله ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ الذي هو الذباب، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما من يتعلق بهذا الضعيف وينزله منزلة رب العالمين<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٥٤٦ .

والمعنى ومن الناس من يبذل نفسه للهلاك ابتعاداً مرضاه الله، أي: هلاكاً في نصر الدين وهذا أعلى درجات الإيمان؛ لأن النفس أغلى ما عند الإنسان<sup>(٢)</sup>.

#### ٥. المؤمنون المكلفوون.

قال تعالى: **﴿فِيهِ مَا يَتَّسَعُتْ مَقَامُ إِرْهِيمٍ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ مَأْمَنًا وَلَوْلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ سَيْلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنِ الْعَالَمِينَ﴾** [آل عمران: ٩٧].

وهذه آية وجوب الحج عن الجمهرة<sup>(٣)</sup>، فحج المسلمين وقعد الكفار، ثم تم الله ذلك بقوله: **﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: **﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنِ الْعَالَمِينَ﴾** بمفهوم المخالفة أن من آمن هو الذي يحج بيت الله.

#### ٦. المؤمنون أتباع محمد وإبراهيم عليهما السلام.

قال تعالى: **﴿إِنَّ أُولَئِنَّ النَّاسِ يَأْتِيُهُمْ لِذِيَّنَ أَتَبْعُوهُ وَهَذَا إِلَيَّ وَالَّذِينَ مَأْمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران: ٦٨].

وهم المؤمنون<sup>(٥)</sup>، ويخبر الله تعالى أن أولى الناس به، محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه، وأتباع الخليل قبل محمد صلى الله

قال تعالى: **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَجَدَهُ فَبَعَثَ اللَّهُ أَلَيْسَنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا أَخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتِ بَعْدَهُمْ فَهُدِيَ اللَّهُ أَلَيْهِ أَمْنَوْلَاهُمْ إِلَيْهِمْ فَأَخْتَلَفُوا فِيهِ وَمِنَ الْحَقِّ يَأْذِنُهُ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ شَرِيقٍ﴾** [البقرة: ٢١٣].

وقوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَجَدَهُ فَأَخْتَلَفُوا وَتَوَلَّا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لِقْنَى بَلَّهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** [يونس: ١٩].

#### ٣. المؤمنون المؤيدون بالملائكة.

قال تعالى: **﴿وَإِذْ زَرَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْنَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ يَرَى النَّاسُ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاهُنَ الْفِتَنَانُ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الأనفال: ٤٨].

ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم<sup>(٦)</sup>.

#### ٤. المؤمنون المجاهدون.

قال تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشَرِّي نَفْسَهُ أَبْيَضَهُ مَرْضَاتُ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَبَادِ﴾** [البقرة: ٢٠٧].

(١) انظر: جامع البيان، الطبراني ٨/١٣.

(٢) انظر: التحرير والتبيير، ابن عاشور ٢/٢٧٣.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/٨١.

(٤) انظر: التحرير والتبيير، ابن عاشور ٣/٢٧٥.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبراني ٦/٤٩٩.

عليه وسلم <sup>(١)</sup>.

### ثانياً: المنافقون

إسرائيل، وتحير المنافقون فتبليدوا <sup>(٣)</sup>.

#### ٣. المنافقون المخاصمون.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْجِلُكَ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَسْهُدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ قُلْهُ أَذْلَالُ الْخَصَارِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب، وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم <sup>(٤)</sup>.

#### ثالثاً: الكافرون

وهذا صنف من الناس قد أعلن عداوته لل المسلمين وجاهر بها، وإن كان خطيراً فهو أقل خطراً من المنافقين لمعرفة المسلمين به، وقد وردت لفظة الناس بهذا المعنى في عدة مواطن من كتاب الله تعالى منها:

##### ١. الكافرون باتخاذ الأنداد.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْجِذِبُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَادِاً بِحُبِّهِمْ كَحْتِ اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَسْدَدُ حُبَّهَا إِلَهُ وَلَوْرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْقَدَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ وَجِيلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ شَرِيكُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦].

يدرك تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أنداداً، أي: أملاكاً ونظراً يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا

(٣) انظر: جامع البيان، الطبراني ١٢٩/٣، الكشاف، الزمخشري ١/٢٢٣.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/٥٦٢.

وهذا صنف أشد خطراً على الأمة الإسلامية من الكفار، فهو صنف يظهر الإسلام، ويطن الكفر ويصعب على المسلمين تمييزه، وقد وردت كلمة الناس في هذا المعنى في كتاب الله تعالى، ومنها:

##### ١. المنافقون المظہرون إيمانهم.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشُؤُلُ مَاءِمَّا يَلْهُو وَيَأْتِيُهُ الْأَغْرِيٌ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

قال الطبرى: وأجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق، وأن هذه الصفة صفتهم <sup>(٢)</sup>.

##### ٢. المنافقون المشككون للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْفَسَاهَةُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَنِ قِيلَنِهِمْ أَلَّى كَأْوَاعِيَهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَسْرِقُ وَالْمَغْرِبُ إِنَّهُمْ مَنْ يَتَأَذَّى إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

سيقول العجالة من الناس، وهم اليهود وأهل النفاق، وإنما سماهم الله عز وجل سفهاء؛ لأنهم سفهوا الحق، فتجاهلت أخبار اليهود، وتعاظمت جهالتهم وأهل الغباء منهم، عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان من العرب ولم يكن من بني

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٩٦٨.

(٢) انظر: جامع البيان ١/٢٦٨.

اشترى الحياة الدنيا بالأخرة، فكانت أعمالهم للدنيا وزيتها، فلا يسألون ربهم إلا متعها، ولا حظ لهم في ثواب الله، ولا نصيب لهم في جناته وكريم ما أعد لأولئك<sup>(٢)</sup>، وتوضح الآيات أن المقسم إلى الفريقين جميع الناس من المسلمين والشركين؛ لأن الآية نزلت قبل تحجير الحج على المشركين بأية براءة، فيتعين أن المراد بمن ليس له في الآخرة من خلاق هم المشركون؛ لأن المسلمين لا يهملون الدعاء لخير الآخرة ما بلغت بهم الغفلة، فالمحضود من الآية التعريض بذم حالة المشركين، فإنهم لا يؤمنون بالحياة الآخرة<sup>(٤)</sup>.

### ٣. الكافرون يوم القيمة المتبرئون من الأصنام.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَثُرًا لَمْ يَعْدُهُمْ وَكَثُرُوا بِسَادَتِهِمْ كُفَّارٌ﴾ [الأحقاف: ٦].

وإذا جمع الناس يوم القيمة لموقف الحساب، كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، لأنهم يتبرؤون منهم ﴿وَكَثُرُوا بِسَادَتِهِمْ كُفَّارٌ﴾ ومعنى قوله تعالى ذكره: وكانت آلهتهم التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين، لأنهم يقولون يوم القيمة: ما أمرناهم بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا<sup>(٥)</sup>.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبراني .٢٠١ / ٤

(٤) انظر: التحرير والتتوير، ابن عاشور / ١ .٢٤٧

(٥) انظر: جامع البيان، الطبراني .٩٦ / ٢٢

ضد له ولا ند له، ولا شريك معه<sup>(١)</sup>، تبين هذه الآية أن سبب الكفر هو اتخاذ الأنداد من دون الله تعالى، وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله ندًا وهو خلقك)<sup>(٢)</sup>.

### ٤. الكافرون بالأخرة.

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنْسَكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرَكُمْ أَبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَإِنَّ النَّاسَ مَنْ يَقُولُ رَبِّنَا مَا نَنْتَ فِي الدُّنْيَا وَمَا لَدُفُ الأَخْرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

يعني بذلك جل ثناوه: فإذا قضيتم مناسككم أيها المؤمنون فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا، وارغبوا إليه فيما لديه من خير الدنيا والآخرة بابتهاه وتمسكن، واجعلوا أعمالكم لوجهه خالصاً ولطلب مرضاته، وقولوا: ﴿رَبِّنَا مَا نَنْتَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

تبين لنا الآيات صنفين من الناس في الدعاء فيحذرنا الله تعالى أن تكون من

(١) انظر: المصدر السابق / ١ .٤٧٦

(٢) آخر جه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: (فلا تجعلوا لله أنداداً)، ١٨ / ٦، رقم ٤٤٧٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، ١ / ١٤١، رقم ٥٢.

## صفات الناس

إن من رحمة الله تعالى بخلقه أنه جعل لكل مخلوق من مخلوقاته صفات يتميز بها عن غيره، فصفات الإنسان تختلف عن صفات الحيوان، والنبات والجبن وغيره من المخلوقات، والناس رغم اتفاقهم في كثير من الصفات إلا أنهم مختلفون في بعض منها، وللناس صفات فطرية، وأخرى مكتسبة، وهي على النحو الآتي:

### أولاً: الصفات الفطرية

#### ١. هداية الفطرة.

قال تعالى: ﴿فَآتَيْتُكُمْ وِجْهَكُمْ لِلَّذِينَ حَسِيبُوا فَطَرَّتِ اللَّهُ أَنْقَلِي فَطَرَّ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَنْبَدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَيِّنُ الْقَيِّمُ وَلَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

صنعة الله التي خلق الناس عليها، أي: فطر الله الناس على ذلك فطرة، والمقصود بالفطرة هو الإسلام مذ خلقهم الله من آدم جمیعاً<sup>(٢)</sup>.

وقد أخرج الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة

٤. الكافرون المجادلون بغیر علم من الناس.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَنَّا سَمِعْتُمْ مَنْ يَجْنَدِلُ فِي اللَّهِ يُغَيِّرُ عَلَيْهِ وَتَشْيِعُ كُلُّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

يقول تعالى ذاماً لمن كذب بالبعث، وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى، مغرياً عما أنزل الله على أنبيائه، متبعاً في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مرید من الإنس والجن، وهذا حال أهل الضلال والبدع المعرضين عن الحق المتبين للباطل؛ يتربكون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤوس الضلال، الدعاء إلى البدع بالأهواء والأراء<sup>(١)</sup>، والأية نزلت في النضر بن العمار الذي قال: إن الله عز وجل غير قادر على إحياء من قد بلي وعد تراباً<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥ / ٣٩٤.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القراطسي ٥ / ١٢.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبراني ٢٠ / ٩٧.

**كَبِيرًا وَنَسَاءً وَأَتَقْرَأُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ عَنْهُ وَالْأَرْجَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَّقِيبًا** [ النساء : ١ ] .

ينبه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام، وأنه خلق منه زوجه حواء، ثم انتشر الناس منها<sup>(٣)</sup> ، والخبر في قوله: ﴿خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَرَّةٍ وَأَنْثَى﴾ مستعمل كناية عن المساواة في أصل النوع الإنساني ليتوصل من ذلك إلى إرادة اكتساب الفضائل والمزايا التي ترفع بعض الناس على بعض<sup>(٤)</sup> .

#### ٤. اختلاف اللون واللسان.

قال تعالى: **﴿وَمِنْ أَيْمَنِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْيَالَ النَّاسِ كُمْ وَأَلوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِلْعَالَمِينَ﴾** [ الروم : ٢٢ ] .

الألسنة: اللغات، أو أجناس النطق وأشكاله، خالف عز وعلا بين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد، ولا جهارة، ولا حدة، ولا رخاوة، ولا فصاحة، ولا لكتة، ولا نظم، ولا أسلوب، ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله، وكذلك الصور وتخطيطها، والألوان وتنوعها، ولاختلاف ذلك وقع التعارف، وإلا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والالتباس، ولتعطلت مصالح كثيرة، وربما رأيت توأميين يشتهان في الحلية، فيعروك الخطأ في التمييز بينهما،

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / ٣ / ٥٢٤ .

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور / ٢٦ / ٢٦١ .

تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاً؟<sup>(١)</sup> .

#### ٢. النسيان.

قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ عَهَدْنَا لَكَ مَادَمَ مِنْ قَبْلِ فَنِسْوَ وَلَمْ يَحْدَدْ لَهُ عَزَمًا﴾** [ طه : ١١٥ ] .

ولقد وصينا آدم وأمرناه، وعهدنا إليه عهداً ليقوم به فالتزمه وأذعن له وانقاد وعزّم على القيام به، ومع ذلك نسي ما أمر به وانتقضت عزيمته المحكمة، فجرى عليه ما جرى، فصار عبرة لذريته، وصارت طبائعهم مثل طبيعته، نسي آدم فنسنت ذريته، وخطئوا فخطّئوا، ولم يثبت على العزم المؤكّد، وهو كذلك، وبادر بالتوبة من خططيته، وأقر بها واعترف، فغفرت له<sup>(٢)</sup> ، ومن المعلوم أن آدم عليه السلام هو أبو الناس والبشر جميعاً.

#### ٣. الأدبية والمساواة.

قال تعالى: **﴿إِنَّمَا النَّاسُ إِنَّمَا خَلَقْنَاهُ ذَرَّةً وَأَنْثَى وَجَعَلْنَاهُ شَعُورًا وَقَابِيلًا لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَقْسَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ حَلِيمٌ حَسِيرٌ﴾** [ الحجرات : ١٣ ] .

وقال: **﴿إِنَّمَا النَّاسُ أَتَقْرَأُوكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ مِنْ نَقْسٍ وَجَوْقٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَيَتَ مِنْهَا يَجَأُ**

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ١٠٠ / ٢ ، رقم ١٣٨٣ صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم ٢٦٨ .

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥١٤ .

مزاولة هذه الشهوات ﴿رَبِّنَا لِلشَّهْوَاتِ حُبُّ﴾  
الشهوات)، فهي شهوات مستحبة مستلذة؛  
وليس مستقدرة ولا كريهة، والتعبير لا  
يدع إلى استقدارها وكراهيتها؛ إنما يدعو  
فقط إلى معرفة طبيعتها ويواعتها، ووضعها  
في مكانها لا تتعداها، ولا تطغى على ما هو  
أكرم في الحياة وأعلى. والتطبع إلى آفاق  
آخر بعد أخذ الضروري من تلك الشهوات  
في غير استغراق ولا إغراقاً.

وهنا يمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة  
البشرية وقبولها بواقعها، ومحاولته تهذيبها  
ورفعها، لا كبتها وقمعها<sup>(٢)</sup>.

ويدخل ضمن هذه الشهوات حب الآباء  
والزوجة والأولاد.

#### ٦. الهم والحزن والمنع.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ خَلِقَ هَلُوْعًا﴾<sup>(١)</sup>  
﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ حَزْوًا﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْعًا﴾<sup>(٦)</sup>  
[المعاج: ١٩ - ٢١].

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان وما هو  
مجبر على من الأخلاق الدينية: ﴿إِنَّ  
الْإِنْسَنَ خَلِقَ هَلُوْعًا﴾ ثم فسره بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ  
الشَّرُّ حَزْوًا﴾ أي: إذا أصابه الضرب فزع وجزع  
وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأليس أن  
يحصل له بعد ذلك خير.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْعًا﴾ أي: إذا حصلت

وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلي،  
وفي ذلك آية بيضة حيث ولدوا من أب واحد،  
وفرعوا من أصل فذ، وهم على الكثرة التي  
لا يعلمها إلا الله مختلفون متفاوتون<sup>(١)</sup>.

#### ٥. حب الشهوات.

قال تعالى: ﴿رَبِّنَا لِلشَّهْوَاتِ حُبُّ الشَّهْوَاتِ  
مِنْ أَنْسَاءٍ وَالْبَنِينَ وَالْقَنْطَبِيرِ الْمُقْنَطَبِرِ  
مِنَ الْدَّهَبِ وَالْفَضْلَةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ  
وَالْأَنْتَمِ وَالْحَرْبِ ذَلِكَ مَنْكُعُ الْحِكْمَةِ  
الْأَدْنِيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْعَابِ﴾ [آل عمران:  
١٤].

وصياغة الفعل للمجهول هنا تشير إلى  
أن تركيبهم الفطري قد تضمن هذا الميل؛  
 فهو محظوظ ومزين، وهذا تقرير للواقع من  
أحد جانبيه، ففي الإنسان هذا الميل إلى هذه  
الشهوات ، وهو جزء من تكوينه الأصيل، لا  
حاجة إلى إنكاره، ولا إلى استنكاره في ذاته،  
 فهو ضروري للحياة البشرية كي تتأصل  
وتنمو وتطرد كما أسلفنا.

ولكن الواقع يشهد كذلك بأن في فطرة  
الإنسان جانباً آخر يوازن ذلك الميل،  
ويحرس الإنسان أن يستغرق في ذلك  
الجانب وحده؛ وأن يفقد قوة النفحة العلوية  
أو مدلولها وإيحاءها، هذا الجانب الآخر  
هو جانب الاستعداد للتسامي، والاستعداد  
لضبط النفس ووقفها عند الحد السليم من

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب / ١ - ٣٧٤.

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري / ٣ - ٤٧٩.

**هُوَلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ** ﴿٣١﴾ [البقرة: ٣١].  
وقوله تعالى: **«عَلَمَهُ الْبَيَانَ»** [الرحمن: ٤].

والحق جل جلاله لم يكن يترك آدم في حياته على الأرض دون أن يعلمه ما يضمن استمرار حياته وحياة أولاده، يعلمه على الأقل بدايات، ثم بعد ذلك تتطور هذه البداءيات بما يكشفه الله من علمه لخلقه<sup>(٢)</sup>، إن آدم عليه السلام لم يكن بطبعه عالماً، بل اكتسب هذا العلم من الله تعالى الذي علمه الأسماء كلها، وبهذا العلم كان التكريم والتشريف لآدم عليه السلام.

## ٢. التزاوج.

قال تعالى: **﴿وَمَنْ مَا يَتَّبِعُهُ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ يَنْتَكُمْ مُمَوَّذَةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْنَ لَقَوْمٌ يَنْفَكِرُونَ﴾** [الروم: ٢١].

أي: خلق لكم من جنسكم إناثاً يكن لكم أزواجاً<sup>(٤)</sup>.

هذه آية تدل على أن الزواج آية من آيات الله تعالى، وهو آية لقوم يتفكرون فإن المعنى في هذه الآية أناساً يتفكرون ويتدبرون الآيات، وحقيقة الأمر أن نظرة الزواج تختلف من إنسان لإنسان آخر فبعض الناس يقدم على الزواج والبعض

له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله فيها<sup>(١)</sup>.

## ٧. الأكل.

قال تعالى: **﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيْبًا وَلَا تَتَّبِعُوا حَاطِنَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُمْ عَدُوُّ مِنْنَا﴾** [البقرة: ١٦٨].

وانظر إلى دقة الأداء القرآني في ترتيب الأحكام بعضها على بعض، فالإنسان المخلوق لله في الأرض المسخرة له بكل ما فيها، له حياة يجب أن يحافظ عليها، وتبقى الحياة ببقاء الرزق في الاقتنيات من مأكل ومشروب، وكذلك يبقى النوع الإنساني بالتزواج، وتكلم الله في رزق الاقتنيات، فجعله للناس جميعاً عندما قال: **﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيْبًا﴾** [البقرة: ١٦٨]<sup>(٢)</sup>.

فالأمر هنا بالأكل لم يكن غاية في حد ذاته بل هو وسيلة للحفاظ على النوع، وأداء الواجبات المنوط بهم، وكذلك فيه إرشاد باختيار نوع الأكل ومجانبة الشيطان في تحريم وتحليل الطعام والشراب.

## ثانية: الصفات المكتسبة:

### ١. العلم والتعلم.

قال تعالى: **﴿وَعَلَمَ مَادَمَ الْأَسْمَاءَ كَلَّاهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةَ فَقَالَ أَتَيْتُكُمْ بِإِنْسَانَ**

(١) انظر: تفسير الشعراوي ١/٥٧.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٣٠٩.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/٢٢٦.

(٤) انظر: تفسير الشعراوي ١/٤٨٥.

الآخر يعرض ويحجم، وعليه فالزواج صفة تكتسب اكتساباً.

## حال أكثر الناس

إن المتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن القرآن الكريم ذكر أحوال الناس في صور متعددة، ولعل هذا يتطابق مع تنوع الناس واختلافهم، فناسب أن تتعدد أحوالهم، وهي في القرآن على النحو الآتي:

**أولاً: الكفر:**

وكفر الناس في القرآن الكريم جاء على عدة أنواع منها:

١. كفر الجحود والإنكار للقرآن الكريم.  
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَقْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مُكْلِّفٍ فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُشْفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩].

يقول ذكره: ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كل مثل، احتجاجاً بذلك كله عليهم، وتذكيراً لهم، وتنبيها على الحق ليتبعوه ويعملوا به، ﴿فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُشْفُورًا﴾، فأبى أكثر الناس إلا جحوداً للحق، وإنكاراً للحجج الله وأداته<sup>(١)</sup>.

٢. كفر النفاق.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ مَا مَنَّا بِاللَّهِ وَبِإِيمَانِهِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٨].

النفاق: هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي، وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي وهو من أكبر

(١) انظر: جامع البيان، الطبراني ١٧/٥٤٨.

**لَفْسِقُونَ** [المائدة: ٤٩].

يقول الطبرى في تفسير قوله تعالى: **«وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفْسِقُونَ»**، وإن كثيراً من اليهود لتارك العمل بكتاب الله، ولخارجون عن طاعته إلى معصيته <sup>(٢)</sup>. والفاسقون أي: المتمردون في الكفر المصررون عليه الخارجون عن الحدود المعهودة <sup>(٤)</sup>.

ولا تعارض هنا في قوله تعالى: **«وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفْسِقُونَ»** وبين تفسير الإمام الطبرى بأن الناس هنا اليهود، وذلك لأن اليهود صنف كبير من الناس، ذكر ماراً وتكراراً في القرآن الكريم، ليؤكد على حقيقتهم وطبعهم، وهو الفسق.

**ثالثاً: الغفلة:**

قال تعالى: **«فَالْيَوْمَ نُتْحِكَ بِمَا دَنَّكُوكُونَ لِمَنْ خَلَقَ أَيْمَانَهُ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ مَا إِنْتَنَا لَتَنْغِلُونَ»** [يونس: ٩٢].

إن بعض بنى إسرائيل شكوا في موت فرعون، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده بلا روح، وعليه درعه المعروفة به على نجوة من الأرض وهو المكان المرتفع، ليتحققوا موته وهلاكه... قوله تعالى: **«لَتَنْغِلُونَ»** أي: لا يتعظون بها،

(٣) انظر: جامع البيان /٣٩٣.

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود /٤٧.

الذنوب، والمنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرج، ومشهده معين، ولهذا نبه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم، ومن اعتقاد إيمانهم، وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار، أن يظن بأهل الفجور خيراً <sup>(١)</sup>.

### ٣. الكفر بلقاء الله تعالى.

قال تعالى: **«أَوَلَمْ يَنْفَكِرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ أَسْتَوْرَتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَمُ إِلَّا يَالْحَقِّ وَأَجَلٌ مُّسَمٌ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لِكَفِرُونَ»** [الروم: ٨].

اللام للتوكيد، والتقدير: لكافرون بلقاء ربهم، على التقديم والتأخير؛ أي: لكافرون بالبعث بعد الموت <sup>(٢)</sup>، ولقاء الله تعالى يكون بالبعث بعد الموت، فالكفر بلقاء الله تعالى إنكاراً للبعث.

### ثانياً: الفسق:

قال تعالى: **«وَإِنْ أَخْمَمْتَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَنْجِعَ أَهْوَاهُمْ وَأَمْدَرْهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُوكُونَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُوكُونَ قَاتَلُوكُوكُونَ فَاعْلَمَ أَنَّهَا يُبَدِّلُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبُهُمْ بِيَعْسِنِ ذُؤُبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ**

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٧٦-١٧٧/١.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي ٩/١٤.

مرسل، ولا ملك مقرب، وهي من الأمور التي أخفاها الله عن الخلق، لكمال حكمته وسعة علمه<sup>(٢)</sup>.

٢. لا يعلمون حكمة الله من الأشياء.  
يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي أَشْرَكَهُ مِنْ قَبْرَ لِأَمْرَائِهِ أَكْثَرُهُ مُتَوْهُ عَسَوْ أَنْ يَنْفَعُنَا أَوْ نَنْجَدُهُ وَلَدًا وَكَذَّالِكَ مَكَّنَاهُ لِيُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَعِلْمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَلَهُ خَالِبٌ عَلَى أَنْوَرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: «لا يدركون حكمته في خلقه، وتلطّفه لما يريد»<sup>(٤)</sup>.

٣. لا يعلمون حقيقة جهلهم بالبعث.  
قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْتَغُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بِلَى وَعْدَ أَعْيُوْحَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الحل: ٣٨].

يقول تعالى مخبرا عن المشركين: أنهم حلفوا فأقسموا ﴿بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ أي: اجتهدوا في الحلف وغلظوا الأيمان على أنه ﴿لَا يَبْتَغُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ أي: استبعدوا ذلك، فكذبوا الرسل في إخبارهم لهم بذلك، وحلفوا على نقيضه، فقال تعالى مكذبًا لهم ورداً عليهم: ﴿بَلَ﴾ أي: بل سيكرون ذلك، ﴿وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًا﴾ أي: لا بد منه، ﴿وَلَكِنَّ

(٣) انظر: تيسير الكرييم الرحمن، السعدي ص ٣١٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / ٤ . ٣٧٨ .

ولا يعتبرون<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ مَا يَرَبَّنَا لَغَفِلُونَ﴾، وهذا القول يوضح أن هناك من يغفل عن الآيات، وهناك من لا يغفل عنها، وينظر إلى تلك الآيات ويتأملها ويتدبرها، ويتساءل عن جدوئ كل شيء، فيصل إلى ابتكارات واحتراضات يتفع بها الإنسان، أذن بميلادها عند البحث عنها؛ ل تستبين عظمة الله في خلقه<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: لا يعلمون:

إن المتذمّر في كتاب الله يجد أن الله تعالى وصف الناس في بعض الآيات بعدم العلم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ومن هذه المواقع ما يلي:

١. لا يعلمون وقت الساعة.

قال تعالى: ﴿يَسْتَأْنِفُوكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَهَا قُلْ إِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَجِدُهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ نَقْتَلَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُ لَا بَغْتَهُ يَسْأَلُوكَ كَانَكَ حَقِيقَةً عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ولم يعلموا أنت - لكمال علمك بربك، غير مبال بالسؤال عنها، ولا حريص على ذلك، فلم لا يقتدون بك، ويكتفون عن الاستتحفاء عن هذا السؤال الخالي من المصلحة المتعلّر علمه، فإنه لا يعلمها نبي

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / ٤ . ٢٩٤ .

(٢) انظر: تفسير الشعراوي / ٨ . ٤٠٦٩ .

## الناس

الدين والفضل لم يخولنا ذلك؛ لأن من أحسن إليه فلا يعذبه.

فرد الله عليهم قولهما وما احتجوا به من الغنى، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّيْ يَسِّطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يوسعه لمن يشاء ﴿وَيَقِيرُ﴾ أي: إن الله هو الذي يفاضل بين عباده في الأرزاق امتحاناً لهم، فلا يدل شيءٌ من ذلك على ما في العواقب، فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة الآخرة، فلا تظنوا أموالكم وأولادكم تغنى عنكم غداً شيئاً.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون هذا لأنهم لا يتأملون<sup>(۲)</sup>.

٦. لا يعلمون حقيقة خلق السماوات والأرض.

يقول تعالى: ﴿لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ۵۷].

يقول تعالى ذكره: لابداع السموات والأرض، وإن شاؤها من غير شيءٍ، أعظم أيها الناس عندكم إن كتم مستعظامي خلق الناس وإن شائهم من غير شيءٍ من خلق الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هين على الله<sup>(۳)</sup>.

(۳) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي .۳۰۵ / ۱۴

(۴) انظر: جامع البيان، الطبراني .۴۰۵ / ۲۱

﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فلجهلهم يخالفون الرسل ويقعون في الكفر<sup>(۱)</sup>.

٤. لا يعلمون إرسال محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً  
لِلنَّاسِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا  
يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ۲۸].

يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكننا أرسلناك كافة للناس أجمعين العرب منهم والعجم، والأحرم والأسود، بشيراً لمن أطاعك، ونذيراً لمن كذبك ﴿وَلَكِنَّ  
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر<sup>(۲)</sup>.

٥. لا يعلمون حقيقة التفاصيل.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّيْ يَسِّطُ الرِّزْقَ لِمَنْ  
يَشَاءُ وَيَقِيرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ۳۶].

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا  
قَالَ مُتَرَفِّهَا إِنَّا يَمَّا أَرْسَلْتَ  
بِهِ كَفِرُونَ﴾ [سبأ: ۳۴].

وقوله: ﴿وَقَالُوا تَحْنُنَ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا  
وَمَا تَحْنَنُ بِمُعَدِّيْنَ﴾ [سبأ: ۳۵].

أي: فضلنا عليكم بالأموال والأولاد، ولو لم يكن ربكم راضياً بما نحن عليه من

(۱) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / ۴ / ۵۷۱.

(۲) انظر: جامع البيان، الطبراني .۴۰۵ / ۲۰

### خامسًا: لا يشكرون:

إن الله تعالى أسبغ علينا نعمه ظاهرة، وباطنة، وحري بنا معشر الناس أن نقابل النعم بالشكر، ولقد بين القرآن أن أكثر الناس لا يشكرون في مواطن عديدة من كتاب الله تعالى منها:

١. لا يشكرون فضل الله ونعمته بتأخير العذاب.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٣].

أي: لذو أفضال وإنعام على كافة الناس، ومن جملة نعمه تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب، ولكن أكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونها، بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء<sup>(١)</sup>.

وبينه عباده على سعة جوده وكثرة أفضاله ويحثهم على شكرها، ومع هذا فأكثر الناس قد أغروا عن الشكر واشغلوا بالنعم عن المنعم<sup>(٢)</sup>.

٢. لا يشكرون الهدایة للتوحید و ملة الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةً مَّا بَأَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢٩٨/٦.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٠٩.

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

﴿وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ إذ جعلنا أنبياء ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ إذ جعلنا الرسل إليهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ على نعمة التوحيد والإيمان<sup>(٣)</sup>.

٣. لا يشكرون نعمة تسخير بعض المخلوقات للناس.

يقول تعالى: ﴿أَللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الَّيَّارَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦٦].

يقول تعالى ممتاً على خلقه، بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه ويستريحون من حركات ترددتهم في المعايش بالنهار، وجعل النهار مبصراً، أي: مضيئاً؛ ليتصرّفوا فيه بالأسفار، وقطع الأقطار، والتمكّن من الصناعات ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يقومون بشكر نعم الله عليهم<sup>(٤)</sup>.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي ١٩١/٩.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/١٥٥.

## اتباع الناس

إن المتأمل في كتاب الله عز وجل يجد أن الناس والأقوام في اتباعهم على حالتين: الأولى: الاتباع المحمود، وذلك باتباع الحق وأهله من الرسل والأنبياء، كذلك اتباع أوامر الله تعالى، فجميع الأنبياء والرسل أرسلوا لقومهم، وأرشدوهم لعبادة الله تعالى.

الثانية: الاتباع المذموم، وذلك باتباع الباطل وأهله من الشيطان وأعداء الإسلام، فنهج أعداء الله تعالى الصد عن دين الله ومحاربته، وستلقي إن شاء الله الضوء على هذا المحور في هذا البحث، وذلك على النحو الآتي:

### أولاً: اتباع الناس المحمود:

#### 1. اتباع إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِيَقْرَبِهِمْ لِلَّذِينَ أَتَيْمُوهُ وَهُنَّا أَنْتُمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨] يخبر الله تعالى أن أولى الناس بإبراهيم محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه، وأتباع الخليل، قبل محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما اليهود والنصارى، والمرشكون فإبراهيم بريء منهم ومن ولادتهم؛ لأن دينه الحنيفية السمحاء التي فيها الإيمان بجميع الرسل وجميع الكتب، وهذه خصيصة

### المسلمين<sup>(١)</sup>.

#### ٢. اتباع الصراط المستقيم.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَهُوا أَشْبَلَ فَنْقَرَقَ يَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ يَهُ لَعَلَّكُمْ تَنْقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٣] هذه آية عظيمة فإنه لمانهى وأمر حذر هنا عن اتباع غير سبيله، فأمر فيها باتباع طريقه<sup>(٢)</sup>.

#### ٣. اتباع محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَأْتِهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا إِلَيَّ لَهُ مُلْكُ الْأَسْمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَعْلَمُ وَيُبَشِّرُ فَعَمِّنْ يَأْتِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَنَّهُمْ أَنْتُمُ الْأُذْنِيَ الَّذِي يَوْمَئِذٍ يَأْتِيُ اللَّهُ وَكَلَّمَنِيهِ وَأَتَيْمُوهُ لَمَّا كُمْ تَهَتَّدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل، يا محمد للناس كلهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلى من الرسل، مرسلًا إلى بعض الناس دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك فإن رسالته ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إلى جميعكم. وأما قوله: ﴿وَأَتَيْمُوهُ لَمَّا كُمْ تَهَتَّدُونَ﴾ فاهتدوا به أيها

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي

ص ٩٦٨.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي  
١٣٧/٧

لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>.

### ثانيًا: اتباع الناس المذموم:

#### ١. اتباع الشيطان.

لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَسَعَ كُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

يريد شياطين الإنس وهم رؤساء الكفار الذين يدعون من دونهم إلى الكفر وقد يكون المراد بذلك إبليس وجندوه... كتب على من يتبع الشيطان أنه من تولى الشيطان أصله عن الجنة وهداه إلى النار، وذلك زجر منه تعالى فكانه تعالى قال: كتب على من هذا حاله أنه يصير أهلاً لهذا الوعيد<sup>(٤)</sup>.

#### ٢. اتباع الهوى.

لقوله تعالى: ﴿يَنَّا وَدُّا إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاتَّخِمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَشَيَّعْ بِالْهَوَى فَيُخَلِّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضْلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسَوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحق **فَيُضْلِكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** يقول: فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه، فتكون من الهاكين بضللك عن سبيل

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / ٣٦٩.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازبي / ١٣٤.

الناس، واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله؛ لكي تهتدوا فترشدوا وتصيبوا الحق في اتباعكم إيه<sup>(١)</sup>.

#### ٤. اتباع الحق.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَبْعَثُ الْبَطَلَ وَإِنَّ الَّذِينَ مَاءَنُوا أَتَبْعَثُ الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَعْتَزِزُ اللَّهُ لِلَّذِينَ أَمْلَأْنَاهُمْ﴾ [محمد: ٣].

وأما **﴿الَّذِينَ مَاءَنُوا﴾** بما أنزل الله على رسle عموماً، وعلى محمد صلى الله عليه وسلم خصوصاً كفراه الله عنهم صغار الذنوب، وكبارها، وإذا كفرت سيئاتهم، نجوا من عذاب الدنيا والآخرة، **﴿وَاصْلَحَ كَالَمْ﴾**، أي: أصلاح دينهم ودنياهما، وقلوبهم وأعمالهم، وأصلاح ثوابهم، بتنميته وتزكيته، وأصلاح جميع أحوالهم، والسبب في ذلك أنهم: **﴿أَتَبْعَثُ الْحَقَّ﴾** الذي هو الصدق واليقين، وما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم الصادر **﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾** الذي رياهم بنعمته، ودبرهم بطريقه فرباهم تعالى بالحق فاتبعوه، فصلحت أمورهم<sup>(٢)</sup>.

#### ٥. اتباع القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارِكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّقُوا لَعْلَكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥] فيه الدعوة إلى اتباع القرآن ووصفه بالبركة

(١) انظر: جامع البيان، الطبرى ١٣ / ١٧٠ - ١٧٢.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٨٤.

ومعنى **«الفاوون»** جمع غاو، وهو الضال، وهم لاء يتبعون الشعراء؛ لأنهم يؤيدون مذهبهم في الحياة بما يقولون من أشعار؛ لأنهم لا يحكم منطقهم مبدأ ولا خلق، بل هو اهتم هو الذي يحكم المبدأ والخلق، فإن أحبو مدحوا، وإن كرهوا ذموا<sup>(٥)</sup>.

**٦. اتباع الآباء والأجداد.**  
قال تعالى: **﴿وَلَمَّا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُومَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّقْعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ مَابَأَتْنَا أَوْلَئِكَ كَانُوا شَيْطَانٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾** [لقمان: ٢١] وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله جهلاً منهم بعظمة الله: اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله، وصدقوا به، فإنه يفرق بين المحق منا والمبطل، ويفصل بين الضال والمهدى، فقالوا: بل تتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان، فإنهم كانوا أهل حق<sup>(٦)</sup>.

الله<sup>(١)</sup>، وهذا الخطاب ليس لنبي الله داود وحده؛ بل هو لكل من وجد في مكانه فعله بالعدل لا الجور.

### ٣. اتباع وطاعة السادات والكبار.

قال تعالى: **﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَاتَنَا وَكُبَرَاهُمْ فَأَصَلَّوْنَا أَسْبِيلَهُ﴾** [الأحزاب: ٦٧].  
أي: اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبار، وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئاً وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء<sup>(٢)</sup>.

### ٤. اتباع السحر.

قال تعالى: **﴿أَتَلَّا نَتَّقْعُ السَّحْرَةُ إِنْ كَانُوا مِنْ الْفَلَيْلِينَ﴾** [الشعراء: ٤٠].  
ورجوا اتباع السحر، أي: اتباع ما يؤيد سحر السحر وهو إبطال دين ما جاء به موسى... كنایة عن رجاء تأييدهم في إنكار رسالة موسى فلا يتبعونه<sup>(٣)</sup>، واتباع السحر ليس معناه تتبعهم في السحر إنما أراد تتبعهم في نصرة ديننا وملتنا والإبطال على معارضتنا<sup>(٤)</sup>، فإن اتباع السحر فيه إعلان الحرب على الله ورسله وأوليائه، فاتباعهم فيه الهلاك والخسران.

### ٥. اتباع الشعراء.

قال تعالى: **﴿وَالشَّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَaoونَ﴾** [الشعراء: ٢٢٤].

(١) انظر: جامع البيان، الطبرى ١٨٩/٢١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٨٤/٦.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٢٦/١٩.

(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/٢٧٧.

(٥) انظر: تفسير الشعراوى ١٠/٦٦٩٣.

(٦) انظر: جامع البيان، الطبرى ١٤٩/٢٠.

✿ سورة يومن تكرر النداء بـ **بِيَأْيَهَا النَّاسُ** فيها أربع مرات.

✿ سورة النمل مرة واحدة.

✿ سورة لقمان مرة واحدة.

✿ سورة فاطر ثلاث مرات.

**تكرار النداء في السور المدنية:**

تكرر النداء بـ **بِيَأْيَهَا النَّاسُ** في السور المدنية عشر مرات في أربع سور مدنية وهي:

✿ سورة البقرة تكرر النداء بـ **بِيَأْيَهَا النَّاسُ** مرتين.

✿ سورة النساء تكرر النداء بـ **بِيَأْيَهَا النَّاسُ** ثلاثة مرات.

✿ سورة الحج أربع مرات.

✿ سورة الحجرات مرة واحدة.

**حكم النداءات:**

إن تعدد النداء للناس، أو كثرة النداء للناس في القرآن الكريم، لم يبرد إلا لحكم عظيمة، لما للنداء من أهمية في الأسلوب القرآني و صيغة النداء للناس الواردة في القرآن هي **بِيَأْيَهَا النَّاسُ** ويا حرف نداء والمنادى أي وهو اسم مفرد مبني على الضم، وها حرف تنبيه مقحم بين المنادى وصفته <sup>(٢)</sup>.

وحرفا النداء والتنبية جاءا ليلفتا الانتباه لما سيأتي بعدهما من أوامر ونواه، ومن

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٦٤ / ١

## نداءات الله تعالى للناس

النداء من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم ليوصل للناس ما يريد وذلك باستخدامه حرف النداء يا، وقد استفتح القرآن الكريم بعض سوره بالنداء، وذلك في عشر سور، منها سورتين افتتحت بالنداء **بِيَأْيَهَا النَّاسُ**، وذلك في سورة النساء يقول تعالى: **بِيَأْيَهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَارٍ وَجَعَلَ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَئَثَ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَسَاءَةً وَأَنْتُمُ الَّذِي تَسْأَلُونَ يَهُوَ وَالْأَرْجَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** [النساء: ١].

وفي سورة الحج يقول تعالى: **بِيَأْيَهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَدِيدٌ عَظِيمٌ** [الحج: ١] <sup>(١)</sup>.

**أولاً: تكرار النداءات:**

لقد تكرر النداء في سور متعددة من القرآن الكريم نحو عشرين مرة، منها ما تكرر في السور المكية، ومنها ما تكرر في السور المدنية، وقد جاءت على النحو الآتي:

تكرار النداء في السور المكية:  
تكرر النداء بـ **بِيَأْيَهَا النَّاسُ** في السور المكية عشر مرات في خمس سور مكية وهي:

✿ الأعراف مرة واحدة.

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ١ / ١٧٨.

السور المكية التي تدعو إلى غرس الإيمان والتوحيد والعقيدة.

## ٢. التذكير بالقوى واليوم الآخر.

لقوله تعالى: ﴿يَتَكَبَّرُ النَّاسُ أَنْ قَوَّا رِبَّكُمْ وَأَخْسَوْا يَوْمًا لَا يَعْزِيزُ الْأَدْعَنَ وَلَيْمَدَ وَلَا مُولَودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالدِّرْدِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِيَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يُغْرِيَكُمُ بِاللَّهِ الْفَرْوَنُ﴾ [لقمان: ٢٣].

يقول تعالى ذكره: أيها المشركون من قريش، اتقوا الله، وحافظوا أن يحل بكم سخطه... لأن الأمر يصبر هنالك بيد من لا يغالب، ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل، إلا وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا. وقوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يقول: أعلموا أن مجيء هذا اليوم حق، وذلك أن الله قد وعد عباده ولا خلف لوعده<sup>(١)</sup>.

## ٣. ترسیخ مفهوم التوحيد.

قال تعالى: ﴿يَتَكَبَّرُ النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَفَلَا يُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

ينبه تعالى عباده ويرشدتهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان؛ ولهذا قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) انظر: جامع البيان، الطبرى . ٢٠ / ١٥٩.

خلالها تظهر بعض الحكم، وبعد الغوص في معاني وسياقات القرآن الجليلة تقف على بعض الحكم التي تم التوصل إليها خلال هذا البحث ومنها:

## حكم النداءات في السور المكية:

### ١. الأمر بالإيمان.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَكَبَّرُ النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَمْ يُلْمَدْ الْمُنْكَرُ وَالْأَنْقَضُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَعْلَمُ وَيَسِّعُ فَقَامُوا يَأْتُهُ وَرَسُولُهُ الْتَّيْمِ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلَّمَهُ وَأَتَيْمُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿يَتَكَبَّرُ النَّاسُ﴾ وهذا خطاب للأحرم والأسود، والعربى والعجمى، ﴿إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة.

وقوله: ﴿فَقَامُوا يَأْتُهُ وَرَسُولُهُ الْتَّيْمِ الْأُمِّيِّ﴾ أخبرهم أنه رسول الله إليهم، ثم أمرهم باتباعه والإيمان به<sup>(١)</sup>.

جاء النداء ليشمل جميع الناس كما بينت الآيات السابقة؛ ليدعوهם ويأمرهم بالإيمان بالله تعالى، وهذا يتفق مع خصائص

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير . ٣ / ٤٨٩ - ٤٩١.

**هُوَ فَأَنْتَ تُؤْفِكُونَ** أي: فكيف تؤفكون (تصرفون) بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان؟! <sup>(١)</sup>.

والمتأمل في هذه الآية يجد أنها اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الألوهية المتمثل في قوله تعالى: **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتَ تُؤْفِكُونَ** وتوحيد الربوبية المتمثل في قوله تعالى: **يَتَبَاهَى النَّاسُ أَذْكُرُوا نَعْصَمَ اللَّهَ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلِيقٍ غَيْرَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** وقضية الخلق والرزق من قضايا توحيد الربوبية، أما توحيد الأسماء والصفات فمتمثل في قوله تعالى: **هَلْ مِنْ خَلِيقٍ غَيْرَ اللَّهِ**.

#### ٤. إظهار الإعجاز والمعجزة.

قال تعالى: **وَوَرِثَ سُلَيْمَانَ دَاؤِدَّ وَقَالَ يَتَابَاهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْبِيْنُ** [النمل: ١٦]، قوله تعالى: **وَقَالَ يَتَابَاهَا النَّاسُ** أي: قال سليمان لبني إسرائيل على جهة الشكر لنعم الله: **عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ** أي: تفضل الله علينا على ما ورثنا من داود من العلم والنبوة والخلافة في الأرض، في أن فهمنا من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها <sup>(٢)</sup>، وإن علم منطق الطير من المعجزات التي

(١) انظر: تفسير القدير، الشوكاني ٤/٤٢٦.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٣٦٤/١٣.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٣/٦.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القراطسي ١٦٤/٩.

## ٢. الأمر بالعبادة.

قال تعالى: **﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُهُ وَارْبِكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمْ يَعْلَمُوكُمْ تَشْفَعُونَ﴾** [البقرة: ٢١].

وهذا أمر عام لكل الناس بأمر عام وهو العبادة الجامعة؛ لامثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فأمرهم تعالى بما خلقهم له <sup>(٤)</sup>.

## ٣. الأمر بأكل الطيبات و النهي عن اتباع الشيطان.

قال تعالى: **﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَّا كَطِيبًا وَلَا تَأْتِي عَطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُمْ لَكُمْ عَذُولُ مُؤْمِنُ﴾** [البقرة: ١٦٨].

لما بين تعالى أنه لا إله إلا هو، وأنه المستقل بالخلق، شرع بينه أنه الرزاق لجميع خلقه، فذكر في مقام الامتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالاً من الله طيباً، أي: مستطاباً في نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقل، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان، وهي: طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوصائل ونحوها مما زينه لهم في جاهليتهم <sup>(٥)</sup>.

## ٤. التذكير بالتفوى.

قال تعالى: **﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَتَقُوْرَيْكُمْ**

(٤) انظر: المصدر السابق ص ٤٤.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / ١٤٧٨.

عاقبة البغي وسوء مغبته <sup>(١)</sup>.

حكم تكرار النداءات في السور المدنية:

### ١. بيان أصل الخلة والنashaة والغاية منها.

قال تعالى: **﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِيلَ لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَسِيرٌ﴾** [الحجرات: ١٣].

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس إننا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال، وماء أنثى من النساء <sup>(٢)</sup>.

ويخبر تعالى أنه خلقبني آدم من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بث منها رجلاً كثيراً ونساءً، وفرقهم، وجعلهم شعوباً وقبائل أي: قبائل صغاراً وكباراً، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك التعارف الذي يترب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل؛ لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحق الأنساب، ولكن الكرم بالتفوى، فأكرمهم عند الله أنقاهم <sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٢/٥٤٠.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبراني ٢٢/٣٠٩.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٠٢.

هو الحق وأنه يحيي الموتى، وكما أحيكم أولاً وأخر جكم من العدم إلى الوجود وأحيا الأرض بعد موتها وهمودها، كذلك تأتي الساعة من غير ريب ولا شك، ويعثكم لما وعدكم من حسابكم وجزاءكم <sup>(٣)</sup>.

#### ٦. ضرب الأمثال في عجز الأصنام.

قال تعالى: **﴿بَتَأْيِهَا النَّاسُ صُرُبَ مَثْلُ فَأَسْتَعِمُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْتَعِمُ الْدُّبُبُ ثُبَّا لَا يَسْتَقْدُو مِنْهُ ضُعْفُ الظَّالِمِ وَالظَّالُوبِ﴾** [الحج: ٧٣].

قال ابن كثير: (يقول تعالى من بها على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها: **﴿بَتَأْيِهَا النَّاسُ صُرُبَ مَثْلُ﴾** أي: لما يعبد الجاهلون بالله المشركون به **﴿فَأَسْتَعِمُوا لَهُ﴾** أي: أنصتوا وتفهموا **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ﴾** أي: لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك) <sup>(٤)</sup>.

**إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** <sup>(٥)</sup> [الحج: ١]، أمر جل وعلا في أول هذه السورة الكريمة الناس بتقواه: بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وبين لهم أن زلزلة الساعة شيء عظيم <sup>(٦)</sup>.

#### ٥. التذكير بالبعث.

قال تعالى: **﴿بَتَأْيِهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُ فِي رَبِّ مِنَ الْبَعْثٍ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقُو وَغَيْرِ مُخْلَقُو لِتُبَيَّنَ لَكُمْ وَتَقُرَّ فِي الْأَرْجَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّ أَجَلَ مُسْئِي مِنْ تَخْرِيجِكُمْ طَفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُوقَنُ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذِلِ الْعُمُرِ لِعَكِيلًا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمِ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْرَأَتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ تَبَوَّجَ** <sup>(٧)</sup> [الحج: ٥].

يا أيها الناس إن كتم في شك من الإعادة **﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾** أي: خلقنا أباكم الذي هو أصل البشر، يعني: آدم عليه السلام **﴿وَنَرَابٍ﴾** ثم خلقنا ذريته <sup>(٨)</sup>، ووُضع من تقلبكم من حالة إلى حالة في الأرحام، وبعد خروجكم إلى الدنيا، وأنتم تعلمون ذلك من أنفسكم، وتشاهدون الأرض على صفة من الهمود والموت إلى حين نزول الماء فتحببوني ونخرج أنواع النبات وضرورب الثمرات كل ذلك يسكنى بماء واحد ذلك بأن الله

(٣) انظر: نظم الدرر، البقاعي / ٥، ١٣٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / ٥، ٣٦٠.

(٥) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي / ٢، ٢٢.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القراطسي / ٦، ٤١٢.

## الناس والجن

وسلم: (خلقـت الملائكة من نور، وخلقـ العـجـانـ من مـارـجـ من نـارـ، وـخـلـقـ آـدـمـ مـاـ مـاـ وـصـفـ لـكـمـ).<sup>(١)</sup>

**ثانيًا:** العداء بين الناس والجن:

إن علاقة الناس بالجن منذ لحظتها الأولى قائمة على العداء حتى قيام الساعة، وذلك لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَبِطَّوْا بَعْضَكُمْ لِيَعْصِي عَذَّلَ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَنْعَ إِلَى حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٤].

والمراد بالخطاب في ﴿أَفَبِطَّوا﴾ آدم، وحواء، وإبليس، والعمدة في العداوة آدم وإبليس.<sup>(٢)</sup>

**ثالثًا:** تكبر الجن على الناس:

قال تعالى ﴿قَالَ إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ يَدَكَ أَشْتَكَرْتَ أَنْ كُنْتَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٧٥].

وقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسُ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَفَّارِ﴾ [البقرة: ٣٤].

في الآيتين السابقتين يبين الله تعالى أن تكبر إبليس واستعلاؤه منعه من السجود وإطاعة أمر الله تبارك وتعالى، والذي منع إبليس من الاستجابة لأمر الله تعالى،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم ٢٩٩٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٩٩ / ٣.

إن الناس والجن من مخلوقات الله تعالى الذين ورد ذكرهم في كتابه الكريم.

وقد بين سبحانه العلاقة بين الناس والجن من أول لحظة وجد فيها أبو الناس جميـعاـ، وهو آدم عليه السلام، والناس والجن المخلوقان الوحيدان المكلدان في الأرض، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتَ إِلَهًنَ وَإِلَانَسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿سَقَرَعَ لَكُمْ أَيْهَةَ الشَّقَاقِ﴾ [الرحمن: ٣١] وستلقي من خلال هذا المبحث الضوء على الناس والجن في عدة

محاور ومنها:

**أولاً:** مادة الخلق:

إن طبيعة خلق الناس تختلف عن طبيعة خلق الجن، فالناس خلقو من الطين والجن خلقو من النار.

قال تعالى: ﴿خَلَقَ إِلَانَسَ وَمَلَائِكَةَ كَالْفَخَارِ﴾ [١٦] وَخَلَقَ الْجَانَ مِنْ مَارِيجٍ وَنَثَارٍ﴾ [الرحمن: ١٤-١٥].

وقال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ أَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم من طريق عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيلًا قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَخْنُ نُسْبِحُ بِهِمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فأول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً<sup>(٢)</sup>.

**سادساً: الاشتراك في العبادة والتکلیف:**  
يبين الآيات أن الجن والناس المخلوقات المكلفة بالعبادات في الأرض لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ لِجِنَّةٍ وَلِإِنْسَانًا إِلَّا يَعْبُدُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦].

أي: وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة، ولم أرد من جميعهم إلا إياها. فإن قلت: لو كان مریداً للعبادة منهم لكانوا كلهم عباداً. قلت: إنما أراد منهم أن يعبدوه<sup>(٣)</sup>.

**سابعاً: التقديم والتأخير:**

إن المتذمرون في كتاب الله تعالى يجد أن هناك آيات قدم فيها الجن على الإنس أو الناس، وبعض آيات تقدم فيها الإنس على الجن مثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ لِجِنَّةٍ وَلِإِنْسَانًا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ إِنْسَانَ مِنْ

والسجود هو ظنه الخاطئ بأنه خير من آدم وذلك بقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا نَعْلَمُ أَلَا سَجَدَ إِذْ أَمْرَكَ قَالَ إِنَّا تَحْرِمُنَا خَلْقَنَا مِنْ ثَارِ وَخَلْقَتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

**رابعاً: تکریم وتشریف الناس على الجن:**

الناس أشرف وأکرم من الجن، وذلك بتشریف الله لأبی البشر آدم وأمر الملائكة وإبليس بالسجود لأدم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَلَّنَا لِلْمَلَائِكَةَ أَسْجُدُنَا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْرِيزُ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفْشَأَ حِذْنَوْنَهُ وَدَرَّسَهُ أَوْلِيَّاهُ مِنْ دُوفِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ يَتَّسِعُ لِلْقَلَّابِيمَ بَدْلَا﴾ [الكهف: ٥٠].

يخبر تعالى عن عداوة إبليس لأدم وذريته، وأن الله أمر الملائكة بالسجود لأدم؛ إکراماً وتعظیمًا؛ وامتنانًا لأمر الله<sup>(٤)</sup>، فإن تشریف وتکریم الآباء تشریف وتکریم للأبناء.

**خامساً: زمان الخلق:**

إن المتأمل في كتاب الله تعالى يتبيّن له أن زمان خلق الجن متقدم على خلق الناس، وهذا يفهم من سياق الآيات المتعددة في كتاب الله تعالى.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبری .٤٥٥ / ٣٠.

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري .٤٠٨ / ٤.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي

ص .٤٧٩

### ثامنًا: العلاقة بين الناس والجن:

١. استعادة الناس واستجاراتهم من الجن برب الناس.

قال تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦].

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد أستجير **برب**  
**الناس** ① **ملك الناس** [الناس: ٢-١]، وهو ملك جميع الخلق: إنسهم وجنمهم.  
 قوله: **من شر الوسواس الخناس** يعني: من شر الشيطان **الخناس** الذي يخنس مرة ويوسوس أخرى، وإنما يخنس فيما ذكر عند ذكر العبد ربه.

وقوله: **الَّذِي يُوْسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ** يعني بذلك: الشيطان الوسواس، الذي يوسوس في صدور الناس: جنهم وإنسهم ④، هذا قمة الإيمان أن يستعيد الناس بخالقهم من شر الشيطان والجن.

٢. استعادة واستجارة الناس بالجن.  
 لا ينبغي أن يكون هناك تواصل، وتعامل بين الناس والجن، وذلك لاختلاف الخلقة والطبع، ولقد ذم الله تعالى رجالاً من الناس كانت تستعيد بالجن فزادتهم رهقاً.

يقول تعالى: **وَأَنَّهُ كَانَ يَجَالُ مِنَ الْإِنْسِينَ يُوْدُونَ بِرَحْلَى مِنَ الْجِنِ فَزَادُوهُمْ رَهْقًا** [الجن: ٦].

٤) انظر: جامع البيان، الطبراني ٧١١-٧٠٩ / ٢٤.

صلصلة كالفحار ⑥ وخلق الجن من مآرج النار [الرحمن: ١٤-١٥].  
 في الآية الأولى: **وَمَا خَلَقْتُ لِيْلَيْلَةَ** والأنس إلا ليعبدون قدم الجن للاهتمام بهذا الخبر الغريب عند المشركين الذين كانوا يعبدون الجن؛ ليعلموا أن الجن عباد لله تعالى ①.

أما تقديم الإنسان على الجن فهو لبيان الشريف، وهذا من نعمه تعالى على عباده، حيث أراهم من آثار قدرته ويدفع صنته، أنه خلق أبا الإنس وهو آدم عليه السلام **من صلصلة كالفحار** أي: من طين مبلول، قد أحكم به وأنقن حتى جف، فصار له صلصلة وصوت يشبه صوت الفخار الذي طبخ على النار ②.

**وَخَلَقَ الْجَنَّانَ** أي: أبا الجن، وهو إيليس اللعين **مِنْ مَآرجِ مَنْ ثَارَ** أي: من لهب النار الصافي، أو الذي قد خالطه الدخان.

وهذا يدل على شرف عنصر الأدمي المخلوق من الطين والترب، الذي هو محل الرزانة والثقل والمنافع، بخلاف عنصر الجن وهو النار، التي هي محل الخفة والطيش والشر والفساد ③.

١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/٢٨.

٢) انظر: الكشاف، الزمخشري ٤/٤٤٤.

٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٢٩.

للنار: أنت عذابي أصيّب بك من أشاء ولكل واحدةٍ منكم ملؤها. قال: فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً، وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها فتقول: هل من مزيد؟ ثلاثة حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ ويرد بعضها إلى بعضٍ وتقول: قطْ قطْ قطْ<sup>(٢)</sup>.

نستوضح من الآيات السابقة: .

✿ اختلاف أصل الخلقة يؤدي إلى اختلاف الطبائع والصفات عند الناس والجن.

✿ المتذمِّر للأيات القرآنية يتبيَّن له أن هناك عداوة أزلية بين أبي البشر آدم، وبين أبي الجن إبليس.

✿ اشتراك الناس والجن في العبادة والتوكاليف، ميزتهما عن سائر المخلوقات، فمن أدى وأطاع له الجنة، ومن عصى وامتنع فله النار.

✿ الجن مخلوق قبل الإنسان، وسكن الأرض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء، فاستحقوا عقاب الله تعالى، وكذلك سنة الله في الناس إذا فسدت استحقت العقاب والعقاب.

✿ الناس أكرم وأشرف خلقاً من الجن، ولا الاستعادة بالله وحده من الجن، ولا

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب باب ما جاء في قول الله تعالى: (إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين)، ١٣٤ / ٩، رقم ٧٤٤٩.

أي: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس؛ لأنهم كانوا يعودون بنا، أي: إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها - كما كان عادة العرب في جاهليتها - يعودون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيّبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه، فلما رأت الجن أن الإنس يعودون بهم من خوفهم منهم، **﴿فَرَادُوهُمْ هَقَا﴾** أي: خوفاً وإرهاقاً وذرعاً، حتى تبقو أشد منهم مخافة وأكثر تعوداً بهم، كما قال قتادة: أي: إثما، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة<sup>(١)</sup>.

وهذا درب من دروب الشرك بالله تعالى أعاذنا الله جميعاً من الوقوع به.

٣. الاشتراك في العذاب في حال الكفر. يقول تعالى: **﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَذِلِّكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلْمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** [هود: ١١٩] أخبر أنه يملأ ناره و جنته كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام البخاري من طريق أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اختصمت الجنة والنار إلى ربهما فقالت الجنة: يا رب ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس و سقطهم)! وقالت النار: يعني: أوثرت بالمتكبرين فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي وقال

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٣٩ / ٨.

يجوز للناس الاستعانة بالجبن.

✿ دخول الناس والجبن للجنة والنار رغم

أن الجن خلقوا من النار

م الموضوعات ذات صلة:

آدم، الإنسان، الجن، الخلق، السياسة